المبنيَّة على صخرة الايمان الثابتة . وهذه هي الكنيسة التي قامت بدلًا من الشعب اليهودي المستلم كنز « ملكوت الله ». قال الرب لليهود (متى ٢١ : ٤٣) : « اقول لكم ان ملكوت الله يُنزع منكم ويُعطى لأُمة تصنع ثمرهُ » فبيَّن بنوع جليّ ان الكنيسة صارت ملكوت الله ورثت هذه الرتبة بعد ان رذل الرب شعبهُ ورثتهُ الاول لما وجد فيهِ من كثرة المآثم وعدم الاهليَّة

وخلاصة القول ان عبارة ملكوت السماوات تدل اصلًا في الجيل متى على السماء ودار الخلد حيث يملك الله مع اوليائهِ . ولكن لها معنًى آخر ثابتٌ صحيح وان كان مشتقًّا من المعنى الاصليّ اعني انها تدل على كنيسة المسيح والبرهان الاول على ذلك ترادُفها لعبارة « ملكوت الله » الدالة في أحوال كثيرة على هذه الكنيسة . والبرهان الثاني نصوص وآيات عديدة لا يمكن اطلاقها على السماء بل على الكنيسة . والبرهان الثالث اتفاق الآباء على هذا الشرح والبرهان الاخير ان المسيح جعل الكنيسة في مقام الشعب اليهودي وسلَّم اليها بدلًا منهُ « ملكوت الله ». وفي هذا يُنقض قول صاحب قاموس الكتاب المقدس الذي نكر كون الكنيسة المنظورة هي ملكوت السماوات . والسلام

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم العلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

ومضت ثلاثة ايَّام على المريضة ونُوَب الانحطاط والاضطراب تتعاقب عليها دون ان يحدث تغيير محسوس في حالتها السموميَّة لان أدوار الهذيان كانت دائمًا تتجدَّد عليها بلا اختلاف في اعراضها

وبينما كان زين ساهرًا في ذات ليلة على امرأتهِ اخذتها نوبةٌ شديدة وصوَّرت لها الحمى انها لم تزل تائهة تحت البرَد والمطر في تلك الطرق المستوعرة التي مرَّت بها ثم اعاد الوهم على ذهنها زيارتها للاب يوحنَّا ذاك الشيخ البارّ فاخذت تبسط لهُ ادلَّة حبِّها لزوجها بلهجة من الاخلاص كانت لها حركة عظيمة في قلب زين واخيرًا تمثَّلت لها مقابلتها الاخيرة

لحبيس بحيرة قدس فهتفت قائلة: « اسمح لي ايها الاب القديس ان اقول لزين باني مشتعلة بمحبته وان قلبي ما نبض قط الا لاجله... أفتسمح لي بهذا يا ابي... اني أطيع هذه المرة ايضاً فباركني وصلِّ خاصة من اجلي. زوّدني بدعائك...»

وبعد هذه الكلمات حاولت ان تنهض وهي لا تعي فأعانها زين على القيام ولكنها ما لبثت ان وقعت على فراشها خائرة القوة

وفي ذات مساء بعدما أصابتها احدى هذه النوبات الرملة اخذ زين يقول في نفسه: « ما اعظم محبتها لي » وما كان غير قليل حتى تذكّر ذاك اليوم السعيد الذي تلا بركة قرانهما من يد الاب يوحنا وما اظهرته له راحيل من الحب المتوج بالاجلال والاكرام. وكان هذا التذكار حلواً مستعذباً لانهُ أعاد على خاطره صورة السعادة الهادئة الحقيقية ومثّل لهُ الاتحاد الباطني بين قلبين ما كان يتحرّك احدهما الا للاخر

غير انهُ بعد ذلك تنكّر كيف انقلب فجأةً ذاك الاتحاد الوثيق الى حذر وكيف ان كل واحد من الاثنين صار بالنسبة الى الآخر كشخص غريب. ولو ان زيناً امعن النظر في الامر ودقّق قليلاً لعرف السبب واطلع على الحقيقة غير انهُ لم يكن يريد ذلك وكانت الأثرة تصدهُ عن مشاهدة ما هو لاحق بهِ من المسؤولية الكبرى فلهذا هتف قائلاً:

انها لأوهام مريضة بل هذيان دماغ بليلتهُ الحمى... فلا يجدر بي ان احفل بها وانتبه اليها

وكأنهُ خشي ان تكون قرينتهُ سمعت كلامهُ فأضاف الى سابق كلامهِ بصوت خافت قولهُ:

وبعد هذا وهذا لا يبكّتني ضميري على سيئة معها. فمن اي شيء تستطيع الشكوى؟ وماذا ينقصها؟ أما ان قلة فطنتها سلّحتني عليها بسلاح مخيف فقد كنت استطيع بكلمة واحدة ان أسرحها وألحق بها عاراً لا يُمحى. واذا كنتُ لم افعل شيئاً من ذلك فما هو الا عن كرم اخلاق وصفح متجاوز الحدّ. فبناء عليهِ لا ينبغي ان اظهر ضعفاً. او تسامحاً فان منزلتي وشرفي لا يسوّغان لي شيئاً من هذا على سبيل الاطلاق والا كان بمثابة إقرار بخطأ. تصرُّفي

وكان الاقرار بالخطاء اعظم مانع يصدّ زيناً عن العود الى سابق حالهِ مع قرينتهِ

وكيف لا وقد كان رأسهُ المتشامخ يأبى مطاوعة حركات قلبهِ الشريفة وكبرياؤهُ تبعدهُ عن اتمام الفرض الذي يريه اياهُ ضميرهُ واجبًا وضروريًا. على ان زينًا لم يكن باول رجل خاض غمار هذه المعركة كما انهُ لسوء الحظ لا يكون آخر رجل سيخوض غبارها

وبعد ان مضت بضعة ايام قويت بنية راحيل على المرض وكان النقه فيها سريعًا. أجل ان مرضها لم يكن سوى خوف فجائي حادّ ولم يأتِ بعواقب وخيمة كما انهُ لم يغيّر شيئًا من حالة الزوجين ساكني قصر البترون ولكن حنة التي لم تكن تبالي بشيء. اخذت من تلك الساعة تظهر اماتر البلبال واشتغال الفكر فكانت تتذكر الكلمات التي سمعتها من شقيقتها وقت اشتداد النوب عليها وتهتمّ بمعرفة معناها والمقصود منها الّا ان الوقت لم يكن قد حان ولسوف لا يطول الزمان حتى تظهر لها الحقيقة. وبالنظر الى ما هو معروف من انقيادها سنرى بلا شك انها لن تتردّد مطلقًا عن الطاعة لصوت الواجب

واما زين فاستمرّ على عادتهِ لا يظهر عليهِ ادنى اثر من الهواجس التي بكّتهُ عليها ضميرهُ. واذا كان قد تمكّن من خنق تلك الهواجس واخفاء آثارها في الظاهر فانهُ في الباطن كان منزعجًا من نفسهِ لانما تصرّفهُ. واذا كان قد بقي يجتنب قريتهُ كما في الماضي فما ذاك الّا لأن مرآها كان يعيد عليهِ ذكر مساويه واما امرأتهُ فانها عملًا بوعودها للاب يوحنا استمرّت صابرةً على جراحها بسكوت تامّ

١١

ودامت راحيل على هذا المسلك وكانت كل يوم تزيد فيهِ اينالًا حتى مضت عليها عدّة اشهر دون ان تعلو جوادها الابيض التي كانت مولعةً بركوبهِ. غير انها بعد ذلك قد غصبت نفسها على تغيير هذه الخطة فعادت في الظاهر الى سابق حالها واخذت تركب ذاك الجواد وتقودهُ بمثل النشاط الذي كانت تبديهِ في ما سلف. وكانت كلما خرج زين لصيد الخنزير البري في وادي نهر الجوز او لصيد الحجال والسلوى التي تكثر في غابات عبرين وكور وكفرحي وفي الاكمات الرمليّة ما بين حنوش ووجه الحجر او ذهب لزيارة قلعة الحصن وقلعة سمار جبيل تخرج معهُ وهي تحمل الباز في يدها وتلبس برقعًا طويلًا ابيض لا يزال يخفق على هوى الرياح التي تتلاعب بهِ وتركب جوادها المطهم الذي كان يسير تحتها وهو يزبد ويشبّ كأنهُ يفتخر بحملهِ اللطيف. وعلى هذه الصورة

عادت الى سابق نشاطها وبشاشتها وكانت تفعل ذلك بلباقة وهيأة طبيعيَّة خالصة تجوز على احذق الناس واوفرهم دراية

وكانت في ما مضى قد خامت حلاها وزينتها واخذت تقف كالخادمة الى جانب شقيقتها حتة المتبرّجة بأفخر الملابس وانفس الجواهر . امَّا الان فقد عادت فتزيَّنت بالذهب والماس مفرغةً عليها اجمل الحلل وابهاها واخذت تظهر البشاشة والسرور وتخوض احاديث الفكاهة والنكات المفرحة ولم تكن تريد اصلًا ان تظهر عليها اقلّ علامة خارجيَّة تبوح بما يكنُّ قلبها من اللوعة والحرقة بسبب ما تلاقي من صدّ المقدَّم بعلها وإعراضه . ولكن جميع مساعيها ذهبت ادراج الرياح لان زينًا لم يشعر بحنانها المحجوز اكثر من شوره قبلًا بحبَّتها الفائضة

نعم انهُ كان يتعجَّب من التغيُّر الذي يشاهدهُ في قرينته غير انهُ لم يكن يعلّق عليهِ اهميَّة ولهذا كان يجتنب الكلام عليهِ . ورأت راحيل ان أحوالها تزيد ارتباكًا وصعوبةً وان كل ما تظاهرت بهِ لم يجدِ نفعًا ولم يأتِها بالفائدة المطلوبة لان زينًا استمرَّ بالرغم عن ذلك كلّهِ لاهيًا عنها بميلهِ الى شقيقتها

وفي هذه الاثناء توفي مقدَّم العاقورة (١ فكتب الامير رزق الله الى المقدَّم زين ان يتوجَّه مع قسم من الجيش لحراسة المنيطرة والطرق التي تؤدي من بعلبك الى لبنان اعني طريق عيناتا الى الارز من ظاهر القضيب والمضايق المبلِّغة من بركة اليمونة الى افقا فالعاقورة

امَّا راحيل فعزمت على ان تغتنم غيابهُ لتزور مرَّة اخيرة حبس البحيرة ومع ما في سفرها اليهِ من المخاطر والصعوبات كانت تشعر بقوة غير مغلوبة تدفعها اليهِ قسرًا وتعتقد اعتقادًا ثابتًا مكينًا ان لا خلاص لها من المحنة الَّا على يدهِ

وقد قابلها هذا الرجل البار بحنوّ لا يوصف . وكانت الشيخوخة التي احنت ظهره والعذاب الطويل الذي قاساهُ والاوصاف العديدة التي تزيَّن بها تجعلهُ كرجل ممتاز عن سائر الناس وتخوّل كلامهُ سلطة فائقةً تصعب مخالفتها فقالت لهُ راحيل : « ابي قد مشيت على ارشاداتك بكل تدقيق وكتمت محبتي كل الكتم لا على شقيقتي فقط بل على زوجي ايضًا . غير اني عاينت من هذا كلهِ عذابًا دونهُ عذاب الشهداء فخنقت زفيري في باطني

(١ المشرق ٤ واخبار الاعيان

وكانت اذا همَّت دموعي بان تفيض على خدّي كفكفتُها بيدي فكنت اشعر بالموت والفناء في داخلي واتبرّج واتحلّى في ظاهري فاعلةً كما كنت افعل في الايام الاولى لزواجي. تخلّتْ مخاتل الفرح والبشاشة مع ان قلبي لم يعرفها منذ اشهر. ولو ان ادنى بارقة امل اومضتْ لي في ليل احزاني لتجلّدتُ وتصبرت على المحنة بقبول ورضى. ولكن لم يكن شيء من ذلك كلّه لان زيناً ما زال اليوم قليل الاكتراث بي كما كان من قبل. ولا اقول انهُ منع عني دلائل الاعتبار وشواهد الاحترام التي كثيرًا ما يخلطها البعض بالمحبة. كلاَّ فانهُ من هذا الوجه رجل مكمّل بل اقول ان قلبهُ لم يرتدَّ اليَّ وقلبهُ هو غاية ما أريد منهُ ولي الحقّ كلّ الحقّ فيهِ. كلاَّ ثمَّ كلاَّ انك لا تعلم يا ابي ولا تستطيع ان تعلم كم قاسيت من العذاب في طاعة اوامرك. فما هي الفائدة اذًا من إطالة مدة هذه الحال التي لا تُطاق؟ وحتى متى توجب عليَّ صبرًا على كفّارةٍ قاسية لا تولي نفعاً؟

فاجابها الاب يوحنّا قائلاً:

انكِ حتى الآن لم تكتمي حبك الكتم الواجب. ولعلَّ ظواهر الأثرة القبيحة بقيت باديةً فيكِ. فينبغي ان تخفي محبّتك لا فقط على شقيقتك وحدها ولا فقط على قرينك بل ايضاً على نفسك. وهذا آخر واصعب محنة عليكِ. نعم انك قد اجتنبتِ كل عمل وكل كلمةٍ بل ايضاً كل اشارة تظهر محبتك لكنكِ دامت بلا انقطاع على تفحُّص واستقصاء المحبة الباطنة. نعم انكِ لم تعاني شيئاً من شكوالكِ ومرارتكِ ولم تصرّحي بتذمركِ غير ان زيناً يشعر بذلك كلهِ وهذا الذي يبعده عنكِ. ومن المستحيل ان لا تكون عيناك وهيئة وجهكِ قد باحت لهُ بهواجس قلبكِ وقلاقلهِ. فمتى عرفتِ كيف تقمعين كل حركاتكِ وتحدين كل ما يثور في داخلكِ ومتى رضيتِ بان تكوني قرينةً مهملةً منسيّةً ومتى حملتِ صليبكِ بفرح او على الاقل بصبر وتجلّد. وبعبارة وجيزة متى استقرَّ فيكِ السلام الباطني ففي هذا الوقت وحدهُ لا في سواهُ تدوكين الانتصار لانهُ لا شيء غير السلام الباطن يولّد المحبّة الخالصة. ولا ريب ان ظواهر هذا السلام بعينهِ هي التي تجتذب المقدَّم رغماً عن علو اخلاقهِ الى شقيقتكِ الموصوفة بالدماثة والحياء. واخفى الحب هو اشدّ اشتعالاً من سائر انواعهِ ومع عدم ظهوره تكون لهُ سلطة عظيمة جدًّا حتى ان الرجل القديس يوشك ان يعجز عن مخالفتها...

ثم ان الاب يوحنّا انقطع هنيهةً عن الكلام واتى بكتاب مخطوط وقدَّمهُ الى

راحيل من نافذة كوخه قائلًا لها ان هذا الكتاب يرشدك بالتطويل الى ما لا استطيع ارشادك اليه فخذيه فهو اجل كتاب صنعتهُ يدُ بشر لان الانجيل لم يأتِ من البشر

وقد طلبت مني قبلًا ان ادلّكِ على علاج يشفي اوجاعكِ او في الاقلّ على سر الصبر عليها. فاعلمي ان السرّ كلهُ موجود في هذه الاوراق فمنها كنتُ استمدّ عزاء وقوة حتى الآن ولا ريب عندي انها توليكِ مثل ما اولتني

امّا راحيل فتناولت هدية الحبيس وهي لا تبالي وكان عنوانها هاتين الكلمتين « الاقتداء بالمسيح » فلمّا قرأتهما توهمت ان الاب يوحنّا يستهزئ بها فقالت في نفسها: « اذا كان الكلام الحيّ لم يأسُ كلوم نفسي فمن اين لحروف ميتة في هذا الكتاب ان تدفع عني نكبتي ». ومن ثم تأكّد لها ان الرجل القديس يشير بذلك الى إعضال دائها واستحالة شفائهِ وانهُ لم يبقَ عندهُ من دواء لعلاجها. ولمّا كانت المعارك الباطنة قد هدّت قواها مدة سنة بكاملها رأت ان افضل الاشياء ان تتمسك باذيال الجلد والصبر وتحني عنقها هذه المرّة ايضًا لنصائح الشيخ القديس

ومع ذلك كان عزمها كامنًا في صدرها كالنار تحت الرماد. وقد لاحظ الاب يوحنّا ما في باطنها فقال لها قبل ان صرفها من عندهِ:

اكِدي لي يا راحيل انك من الآن فصاعدًا تنبذين العناد نبذًا وكلّما عرضت لكِ مرارة فاجئي قدام الله وقولي لهُ: « ربي وسيدي انك لم تكذب في قولك « طوبى للباكين » فانزل عليَّ شيئًا من الطوبى التي يتضمّنها هذا الوعد الالهي » (ستأتي البقيّة)

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٣٧ بلاد بشرّاي

بلغ بنا تتبُّعنا لآثار لبنان الى مشارف هذا الجبل وها نحن ذا في معاملتي اهدن وبشرّاي. على ان هذه الجهات دون السواحل الفينيقيّة من حيث مآثرها القديمة. وانما هي